أسس التربية الإسلامية
في السنة النبوية

تأليف
د. عبد الحميد الصيد الزنتاني

الدار العربية للكتاب

الإهداء

إلى كلّ شابّ مسلم حريص على
إقامة حياته الفرديّة والاجتماعيّة
على دعائم الهدىٰ والتقىٰ ، والعلم
والإيمان ، والخير والفضيلة ..
أهدى هذا الكتاب .

عبد الحميد

رقـم الايداع بدار الكتب الوطنيـة
1723 / 93
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الثانية
1993

جميع الحقوق محفوظة الدار العربية للكتاب
ليبيـا ـ تونـس

1984

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الهادي الى الحق المبين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله الكرام محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم هداية مبينة خالدة تقود البشر كافة الى سبل السعادة في الدارين ، وجعله معجزة خاصة بسيدنا محمد ﷺ عبده ونبيه ورسوله ، باهرة باقية ، وأعطاه السنة مفصلة للكتاب ، شارحة له ، مبينة لأحكامه وتعاليمه ، كما قال عزّ وجل :

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾[1]

وكما قال تعالى :

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ .[2]

وعليه فإن السنة النبوية الصحيحة ـ قولاً وفعلا وتقريرا ـ أصل أساسي ثابت من أصول الدين يأتي مباشرة بعد كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تكفل الله بحفظه أبد الدهر ، تستمد من فيضها العقائد ، وتستقى من نبعها الأحكام ، وتؤخذ

---

(1) النحل / 44
(2) النحل / 64

وقال سبحانه :

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[1]

وأكد رسول الله ﷺ ذاته لنا وجوب اتباع سنته المباركة حتى يكتمل إيماننا ، وتصح عقيدتنا ، وتسلم عقولنا من الزيغ وقلوبنا من الضلالة وأنفسنا من الانحراف ففي اتباع سنته الشريفة ـ بعد كتاب الله تعالى ـ العصمة من كل أوجه الضلال .

● قال رسول الله ﷺ، في خطبة حجة الوداع :

« وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه »[2]

● وعن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال، ان هذه موعظة مودع، فما تعهد الينا يا رسول الله؟ قال:

« أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وان عبد حبشي، من يعش منكم ير اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فانها ضلالة، فمن أدرك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »[3]

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا

---

(1) التوبة / 71

(2) ابن اسحق / سيرة النبي ﷺ / 3 / ص 1023

(3) الترمذي / حـ 10/ص 144 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ !ـ أما والله إني لأخشاكم لله . وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .[1]

- وعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول :
« ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم . فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .[2]

- وعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللنا ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وأن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » .[3]

وإذا كان من الواجب علينا شرعاً الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في تشريعاتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا وفي كل شأن من شؤون حياتنا قدر الاستطاعة ، فان اقتداءنا بالسنة في تربية ناشئتنا منذ الصغر أوكد وأوجب ، لكونها غنية بالأسس والتضمينات التربوية الايجابية ، وزاخرة بالتوجيهات والارشادات البناءة ، وثرية بالحكمة والوعي والتبصر في فهم النفس البشرية بمركباتها وتفاعلاتها ودوافعها وعواطفها وانفعالاتها المختلفة ، ولا شك أن الاستهداء بتعاليمها والاسترشاد بمنهاجها واتباع

---

(1) البخاري / حـ 7/ص2
(2) مسلم /جـ7/ص 91
(3) الترمذي / جـ 10 / ص 133 (وقال عنه حديث حسن غريب)

أساليبها من طرف الآباء والمربين والمسؤولين عامة ـ في البيت والمدرسة والمجتمع ، وفي مختلف المناهج والبرامج والأنشطة التعليمية والتربوية والتثقيفية والتوجيهية ـ يضمن لنا الى أقصى حد ممكن خلق جيل سوي متكامل الشخصية روحيا وعقلياً ووجدانياً وأخلاقياً واجتماعياً وجسدياً ، محصن ضد الانحرافات والمفاسد وأسباب التحلل العقائدي والخلقي والاجتماعي .

قال الله تعالى :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ .[2]

وقال سبحانه :

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3]

وقال جل جلاله :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[4]

وقال رسول الله ﷺ :

« أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد » .[5]

---

(1) الأحزاب / 21
(2) الأحزاب / 46,45
(3) الأنبياء / 107
(4) التوبة / 128
(5) مسلم / حـ 3/ ص 11

ويمكننا ان نعرف التربية المحمدية بدون شطط أو مغالاة ، بأنها : « عملية متكاملة » و« عملية حياة » وهو ما فيه سبق فريد للمفهوم العصري الحديث للتربية وتصحيح للأخطاء والانحرافات العالقة به سواء في الجانب النظري أم الجانب التطبيقي . وهو ما فيه ـ بدون شك ـ تقويم لاعوجاج المفهوم التقليدي القديم للتربية في العصور السابقة .

ونعني بقولنا أن التربية المحمدية « عملية متكاملة » عنايتها بالجانب الروحي والعقلي والوجداني والأخلاقي والاجتماعي والجسدي في تكوين الشخصية الانسانية وفق معيار الاعتدال والاتزان فلا إفراط في جانب دون غيره ، ولا تفريط في جانب لحساب آخر . وهي بذلك تركز على تنشئة « الانسان الصالح » بدون قيود الزمان أو المكان ، وهي بهذا الهدف الخلاق فاقت هدف التربية الحديثة التي تنشد تكوين « المواطن الصالح » حسب معايير البيئة التي يعيش فيها أو العصر الذي يحيا فيه .

إن التربية المحمدية تكوِّن « الانسان الكامل » الذي تجتمع في شخصيته قيم الروح والعقل والوجدان وفضائل النفس والخلق والبدن ، مع الموازنة العادلة بين جانبيه الفردي والاجتماعي ، فهو إنسان كامل كفرد في عقيدته وخلقه وسلوكه وتصرفاته ونهجه في الحياة ، وهو إنسان كامل كعضو في الجماعة يعمل على خيرها وتحقيق أهدافها ، ويساهم بإيجابية في صيانة كيانها وخلقها وتراثها .

ونعني بقولنا أن التربية المحمدية « عملية حياة » : اهتمامها بالانسان قبل مولده ، ومن مهده الى لحده ، فهي تحث أساسا على اختيار والديه (الزوجين) من الصالحين دينا وخلقاً وبدناً ، وهي تهتم بحسن غذائه وكسائه ، وتعنى بتربيته الدينية والعقلية والخلقية والاجتماعية منذ فجر طفولته حتى ترسخ عقيدته ويكتسب الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة ، وينمو تحصيله العلمي والمعرفي منذ الصغر ، ويحسن التعامل مع الآخرين ويكوِّن معهم علاقات ايجابية وصلات مثمرة .

أهمية موضوع هذا الكتاب:

لا شك أن السنة النبوية تعتبر من أهم مصادر التربية الانسانية المتكاملة سواء في إعداد وتنشئة الفرد ، أم في تكوين وتوجيه الجماعة ، وذلك لكونها زاخرة بالأسس والمبادىء والدعائم التربوية الحية والمتجددة التي إن اتبعناها في مناهجنا ونظمنا التعليمية وتوجيهاتنا الأخلاقية ، وإرشاداتنا الاجتماعية، لكفلت لنا بحق، تكوين « الانسان الصالح » و« المجتمع الصالح » على نحو من الكمال الانساني المنشود .

ولما كان موضوع التربية الاسلامية في السنة النبوية لم يُطرق بشكل متعمق وموسع وكافٍ من قبل الباحثين والدارسين ، ولما كان أغلب الباحثين في التربية الاسلامية قد سلكوا سبيل العموميات من حيث أسلوب التناول والمعالجة او من حيث تعدد المصادر وتنوعها دون التركيز على مصادر السنة النبوية ذاتها هذا من جهة ، فضلا عن ندرة من ألّف أو كتب في هذا المجال على نحو متخصص ومتعمق من جهة أخرى ، فقد رأينا تناول موضوع « أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية » وذلك بالتركيز على تحليل المضامين التربوية في السنة النبوية ، واستخراج الأسس والقواعد والمبادىء التربوية التي تعج بها ، والتي تكفل لنا إن طبقناها على وجهها الصحيح تكوين الشخصية الانسانية السويّة ، وبالتالي تكوين المجتمع الانساني الفاضل .

وتتجلى أهمية موضوع الكتاب في عدة جوانب لعل أبرزها ما يلي :

1- إن الرجوع الى السنة النبوية وإحياءها ودراسة مضامينها التربوية وتحليلها واستقصاء الأسس التربوية الكامنة فيها واستنباط أسس جديدة منها توائم روح العصر الذي نعيش فيه، يعد أمرا بالغ الأهمية والضرورة ، ويتطلب من الباحثين المؤمنين الصادقين مزيدا من الجهد والاهتمام ، باعتبار السنة النبوية الصحيحة المصدر الثاني ـ بعد كتاب الله تعالى ـ للتربية الاسلامية القويمة للفرد والجماعة ، وباعتبارها ايضا

تراثا فكريا حيا متجددا للأمة الاسلامية لا يذبل على مرّ الدهور ، لأنه فيض من نور الله عز وجلّ يحمل الهداية المستمرة للفرد والأمة .

2- إن الفرد والجماعة ـ وهما يعيشان في عصر التقدم المادي الغاشم المليء بالزيغ والانحراف والأباطيل ـ لا يمكن لهما ان يهتديا الى سواء السبيل إلا على أساس إقامة حياتهما على دعائم العلم والايمان ، والمادة والروح ، والعاطفة والعقل ، وهذا لا يستقيم لهما إلا بالرجوع الى منهل السنة النبوية الصحيحة الى جوار كتاب الله تعالى لأنهما المصدران الأساسيان للتوازن والاعتدال والانسجام الحقيقي في تربية قوى النفس البشرية وتزكيتها وترقيتها .

3- إن هذا الكتاب محاولة جادة ومخلصة للكشف عن بعض كنوز السنة النبوية المخبوءة ـ وما أكثرها وأعظمها ـ في مجال التربية ، وإبراز مدى توفيقها في تربية الفرد وتنشئته ، وتكوين الجماعة وإعدادها على نحو متزن ومتعادل ومنسجم بين الجوانب : الفردية والاجتماعية ، والروحية والمادية ، والعقلية والجسمية ، والدنيوية والأخروية . وكذلك إبراز مواقف السنة النبوية المطهرة من الأسس والمبادىء التربوية الحديثة دعماً او تعديلاً أو رفضاً .

والكتاب بهذا النهج دعوة مخلصة الى الباحثين الأكفاء كي يهتموا بالسنة النبوية كمصدر تربوي حيوي عظيم ، فيضيفوا الى ما سبقهم من محاولات جادة إضافات ايجابية بناءة ، ويثروها ويعملوا على تدعيم صحيحها وتقويم عليلها ، كل ذلك قصد رضا الله تعالى : بإحياء سنة رسوله المطهرة بشكل متواصل في كافة المجالات ، وخاصة في مجال التربية ، بغية الوصول الى نظام تربوي أشمل وأمثل في تكوين الفرد والجماعة على أسس الهدى والعلم .

أبحاث الكتاب :

قسمنا أبحاث الكتاب على الفصول الآتية :

الفصل الأول : أسس عامة :

ويشمل هذا الفصل المواضيع التالية : معنى التربية وأغراضها ، والنمو ومراحله وخصائصها وأهمية دراسته ، والفروق الفردية ، والوراثة والبيئة وأثرهما في النمو ، والثواب والعقاب وأثرهما في التربية ، والأسلوب النبوي الشريف في التربية .

وقد عنونا هذا الفصل « بالأسس العامة » لكونها تعد كالقاسم المشترك بين الفصول الأخرى للكتاب .

الفصل الثاني : التربية الجسمية :

ويشمل هذا الفصل الموضوعات التالية : النمو الجسمي وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الجسمي ، وأثر النمو الجسمي في جوانب النمو الأخرى وتأثره بها ، وأهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية .

الفصل الثالث : التربية الروحية :

يحتوي هذا الفصل على الموضوعات التالية : الدين : معناه وآثاره ، والنزعة الفطرية نحو التدين والايمان ، والحاجة الى الايمان والعقيدة ، ومفهوم التربية الروحية وجوانبها وآثارها ، وركائز التربية الروحية في الدعوة المحمدية ، وأهم الآثار الايجابية للتربية الروحية ، وأهم أهداف التربية الروحية في السنة النبوية .

الفصل الرابع : التربية العقلية :

ويضم هذا الفصل الموضوعات التالية :

أهمية الذكاء كقدرة عامة ، والاستعدادات والقدرات العقلية ، والميول العقلية ، وأهم العوامل المؤثرة في النمو العقلي ، وأهم العمليات العقلية العليا ، والتعلم وأهم نظرياته وطرقه والوسائل المساعدة عليه ، وأهم عناصر التعلم في السنة النبوية ، ومكانة

العقل في السنة النبوية ، وأهم موازين البحث العلمي في السنة النبوية ، وأهم أهداف التربية العقلية في السنة النبوية .

الفصل الخامس : التربية الوجدانية :

ويشمل هذا الفصل الموضوعات الآتية : النمو الوجداني وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الوجداني ، والسلوك : معناه ودوافعه ، وأقسام النمو الوجداني : الغرائز والعواطف والانفعالات ، والحاجات النفسية والاجتماعية ، والصراع بين الدوافع ، والأمراض النفسية : أسبابها وعلاجها ، وأهم أهداف التربية الوجدانية في السنة النبوية .

الفصل السادس : التربية الخلقية :

ويحتوي هذا الفصل على الموضوعات التالية : تعريف الأخلاق ، والنمو الخلقي ومراحله ، وأوساط التربية الخلقية ، والضمير ، والمسؤولية الخلقية ، والتربية السلوكية ، وإصلاح أحوال النفس وتقويمها ، ومكانة الأخلاق في السنة النبوية ، وأقسام الأخلاق : الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة ، وخصائص الأخلاق في السنة النبوية ، وأهم وسائل التربية الخلقية ، وأهم أهداف التربية الخلقية في السنة النبوية .

الفصل السابع :

ويضم هذا الفصل الموضوعات الآتية : النمو الاجتماعي وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية ، وعلاقة الفرد بالبيئة الطبيعية ، والآداب الاجتماعية ، وأهم أهداف التربية الاجتماعية في السنة النبوية .

الفصل الثامن : الشخصية السوية المتكاملة ؛

ويشمل هذا الفصل الموضوعات التالية : الشخصية : تعريفها

والمقصود بها ، وأهم العوامل المؤثرة في الشخصية وتكوينها ، والتوازن بين القوى والاستعدادات الانسانية وأهميته في بناء الشخصية ، وأهمية التكامل بين الجانب الفردي والجانب الاجتماعي للشخصية السوية المتكاملة ، وأهمية وفعالية الاستهداء بكمال شخصية النبي ﷺ في تكوين الشخصية السوية المتكاملة ، وأهم صفات الانسان الصالح .

ملاحظات حول شكل ومضمون الكتاب :

من الملاحظات التي رأينا أهمية إبرازها حول شكل ومضمون هذا الكتاب ما يلي :

1- راعينا في شكل الكتاب إبراز جوانب التربية باعتبارها عملية متكاملة بالنسبة لحياة الانسان وتشكيل شخصيته ولذلك فقد بحثنا بشكل مفصل مواضيع : التربية الجسمية والتربية الروحية والتربية العقلية والتربية الوجدانية والتربية الخلقية والتربية الاجتماعية ، وأفردنا لكل موضوع منها فصلا خاصاً به ، هذا الى جانب إفرادنا لفصل خاص بالأسس العامة التي اعتبرناها قاسماً مشتركاً بين مختلف فصول الكتاب .

2- راعينا تكامل الجانب التطبيقي مع الجانب النظري ، فأفردنا فصلا خاصاًبالشخصية السوية المتكاملة نتناول فيه الاستهداء بكمال شخصية النبي ﷺ في تكوينها واعتبار هذا الفصل تتويجا للفصول التي سبقته ومهدت له .

3- أخذنا بأسلوب « التوسع » في معالجة موضوع الكتاب ، باعتبار ان هذا التوسع يفرضه الموضوع ذاته والذي يتطلب شيئاً من التفصيل والتحليل كلما اتسع المقام له ، مع مراعاة عدم الاخلال بعناصر الموضوع الأساسية قدر الامكان ، هذا مع ملاحظة كثرة عدد الآيات

القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الكتاب، والتي كانت محل استشهاد او تدليل او تحليل أو دراسة .

4- راعينا أسلوب العمق ـ الى جانب أسلوب التوسع ـ في تحليل المضامين التربوية في السنة النبوية كلما أمكننا السبيل ، مع مراعاة عدم الاطالة المخلة من جهة ، وحرصنا على إشراك القارىء في الاستنتاج والاستنباط من جهة أخرى ، وهو ما يعد هدفاً أساسياً في عملية التربية والتعليم ذاتها .

5- نعتبر هذا الكتاب على طوله الظاهري الذي قد يبدو للقارىء لأول وهلة في حاجة الى إضافات تحليلية وموسعة أخرى من الباحثين والدارسين الأكفاء تعميما للفائدة وإثراء لمعالجة موضوع التربية في السنة النبوية ـ وذلك حتى نفي السنة النبوية المطهرة حقها كتراث إنساني فكري تربوي أصيل من ناحية ، وحتى نستفيد بكنوزها العظيمة في عملية تنشئة وتربية الأجيال الجديدة على أساس متكامل من العلم والايمان من ناحية أخرى .

وبعـــد ،

فإننا لسنا ندعي ان هذا الكتاب قد أحاط بكل المضامين التربوية في السنة النبوية ، ولكن حسبنا ان نكون قد ساهمنا به ـ بجدية صادقة ونية مخلصة ـ في إثارة عقول أجيالنا الصاعدة وتنبيه أذهانهم الى أنه لا خلاص لنا ـ أفرادا وجماعات ، في عصرنا المادي الغاشم الذي تشيع فيه اتجاهات التفسخ والتهتك والانحلال وتأخذ بمجامع القلوب ـ إلا بالعودة الى تراثنا التربوي الاسلامي الأصيل ، وحفظه واحترامه وتعزيزه المستمر ، وعلى رأسه تأتي سنة الرسول الخاتم الأمين محمد بن عبد الله عليه من الله وملائكته والمؤمنين أفضل الصلاة والتسليم ، جزاه الله تعالى عنا خير ما جزى به نبياً عن أمته فقد هداها حياً بدعوته وترك لها الهداية ميتاً في سنته .

وإذا أصابت هذا الكتاب صواباً وسداداً فهو من توفيق الله تعالى وعونه والهامه وتأييده ، وإن خالطه الوهم ولابسه الخطأ فهو من سوء فهمي وتقديري ، وحسبي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى قصداً ، وأن ينفعني به في الدارين إنه نعم المولى ونعم الوكيل ، وعليه وحده قصد السبيل .

● الفصل الأول

أسس عامة